وحدة القصيدة

في الشعر العربي

— ٤ —

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

﴿ رأي لناقد معاصر ﴾ وهذا الناقد هو الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي مؤلف كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » الذي يمتاز بجدة المنهج الأدبي في النقد وفي تحليل الشعر المعاصر .

فقد عقد فصلاً في كتابه لبحث « الوحدة الشعرية » بإيجاز[1] ... وخلاصة آرائه هي :

١ — وحدة القصيدة هي الرباط الذي يضم التجربة الشعرية والصور والانفعالات والموسيقى والألفاظ في وشاح فني أثيري .. وبهذه الوحدة يتكامل القصيد

٢ — مظاهر هذه الوحدة يتجلى في دوران أبيات القصيدة دوراناً منطقياً شعرياً . وتنقلها تنقلاً فكرياً .. وهذا الدوران المنطقي يتأتى من توفر التجربة الشعرية ، وعرضها عرضاً جميلاً ، وصياغتها صياغة محكمة . فإذا اختلطت التجربة ، أووفاً عليها اللبس ، اضطربت الوحدة .

وتقوم الوحدة كذلك على اتجاه الصور الخيالية بالقصيدة اتجاهاً موحداً . فإذا تضاربت الصور ، وتضارب اتجاهها ، تذبذبت الوحدة . ومما يزيد الوحدة حركة وتماسكاً : حدة الانفعال الشعري ، وجمال الموسيقى المتوائمة مع معاني القصيد .

ولا يقف هيكل الوحدة عند ذلك ، بل إن للألفاظ ، وتموجاتها ، وتوافقها ، وحرية نظامها ، دخلاً كبيراً في تكوين هذا الهيكل .

وليس شك في أن وضع الكلمات في مكانها الواجب ، ونقاء الألفاظ ، ودقة اختيارها ،

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرتي ص ٨٢ — ٩٢ طبعة ١٩٤٨

لما يوصل الوحدة ، ويضفي عليها رونقاً .. وقد تتقوى الوحدة بالألفاظ الطريفة الحية .. والشخصية أثرها الخفي في بناء الوحدة .

٣ — من الظواهر الجديدة في شعر بعض شعراء الغرب الحديثين : عدم اهتمامهم بالوحدة الشعرية ، فهم يرونها لا ضرورة لها ، وأنها نوع من العبودية للتقاليد الكلاسيكية ، والفن كالحياة لا نظام ولا انسجام فيه .

وهذه الآراء الجديدة في وحدة القصيدة تؤكد ما ذهبنا إليه ، وتقوي رأينا الذي فصلناه سابقاً .. وهي ولا شك آراء قيمة جديرة بالاشادة والتسجيل [١]

﴿ الدعوة الى التجديد ﴾ وبعد فاننا قد استعرضنا موقف الشعر العربي والنقاد عامة من وحدة القصيدة ، وأبنا رأينا بوضوح وخلاصة ما ندعو إليه :

أولاً : ضرورة أن تسود القصيدة وحدة فنية كاملة

ثانياً : وجوب التزام وحدة الموضوع في القصيدة

ثالثاً : أن تكون القصيدة كلاً لا يتجزأ ، وصورة واضحة ساحرة ، لا يحيف عليها تشويه أو دمامة أو نقص أو غموض .

رابعاً : عمق الشعور والاحساس في الشعور والتصوير

وهذا كله هو ما أعنيه من وحدة القصيدة . . إن الطبيعة تصنع الشاعر ، والروح الالهي يوحي إليه ، كما يقول شيشرون « والشعراء من المقربين إلى الآلهة لأن السماء أعارتهم للبشر » كما يقول أنيوس الشاعر القديم .. فليجل الشعراء هذه المواهب الالهية التي منحوها ، وليبثوا شعرهم على الحقائق الخالدة ، وليملأوا أفقنا الأدبي تجديداً وحياة وبعثاً وثورة . فا علة ضعف الشعر الحديث إلا ضعف ثورة النفس والشعور والعاطفة . وهذه السكينة المطمئنة في نفوسنا ، والاكتفاء باحتذاء القدامى ومحاربتهم والنسج على منوالهم ، كما يقول صاحب ثورة الأدب [٢] . ولم يبلغ الشعر الاوربي نهضته إلا بعد أن ثار الشعراء في أوربا على القيود القديمة في القرن الثامن عشر ، وأعلنوا حرية الشعور وساروا به خطوات واسعة حتى بلغ الشأو الذي أدركه اليوم [٣] ، وتعددت مذاهبه ، من كلاسيكية ورومانتيكية ، وواقعية ، ورمزية ، وسريالية ، ووجودية ، وسواها من شتى ألوان التجديد الأدبي اليقظ المثمر .

(١) كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ٨٢ — ٩١ (٢) راجع ٦٣ — ٧٢ من الكتاب
(٣) نفس المصدر ٧٣

وليس معنى هذا أننا نعيب الشعر العربي عامة، ونزري به إزراء، وإذ ندعو الى التجديد، وفتح آفاق واسعة للشعر العربي تلائم حضارة القرن العشرين وتفكيره ونظراته في الحياة. إننا لا نجحد الشعر العربي القديم والحديث فضله، بسبب خلوه أو خلو أكثره من وحدة القصيدة، فان ذلك لو حدث لكان أقرب إلى الجحود والخطل، ونحن نعرف أن الشعر فن، والفنون غذاؤها الحرية التي لا تتقيد بقيد، ونعرف أن بعض الباحثين يربطون بين نفسية الشاعر وبيئته وأثره الادبي، ويرون في ذلك لوناً من ألوان الوحدة الفكرية التي تربط القصيدة برباط عام. ولكنا ندعو الى الثورة الادبية، والتحرر من القيود التي لا يلزمنا بها الادب ولا الذوق. إننا نلح في الدعوة الى وحدة القصيدة، ونلزم بها كل شاعر، ونطالب النقاد بتحكيمها في نقد الشعر المعاصر.. فذلك طريق الى تهذيب الشعر، والنهوض به وأقبال الناس عليه.

إن العقلية الحديثة لم تعد تقبل هذا الاضطراب في الفكرة، ولا الجمع بين الاغراض المتباينة من غير ضرورة ملحة، ولا هذه الصور المشوهة التي لا تنم عن شخصية، وإن الذوق الادبي أصبح لا يستسيغ النبو عن أحكام المذاهب الادبية السليمة، ولا التقليد الاعمى الضار، ولا يهضم الاجمال والعموم والغموض والحيرة في الاثر الادبي.

فلننطلق سراعاً الى ميادين التجديد في الادب والشعر، لبعث الحياة والمتعة والجمال فيها؛ ولندفع الناس إلى الاستماع لقيثارة الشعر الخالدة، التي غنى عليها الشعراء الملهمون في القديم والحديث في الشرق والغرب. وإلا فان اليوم الذي نباعد فيه بين الشعر العربي وبين ثقافتنا وروحنا وأذواقنا وما جد في ميادين الادب من نشاط وتجديد لهو اليوم الذي نجد فيه الناس جميعاً قد آمنوا برأي أفلاطون، من أن الشعر عمل غير جدير بمقام الذكاء البشري [1] وبرأي تولستوي وسواه، ممن يحطون من مقام الشعر، وينزلونه من مملكته الالهية إلى حيث النسيان والخمول [2]

والشاعر رسالته — كما يقول كارليل — أن يحمل إلى الناس رسالة الجمال؛ ولاشيء أدعى إلى الاستمتاع العميق بهذا الجمال الذي يدعو اليه من اكتمال شخصية الشاعر وموهبته وبعده عن التقليد. وكل شيء في الوجود فهو قصيدة من قصائد الله، والشاعر كما يقول شكري أبلغ قصائده، فليكن داعية للتجديد وليسمُ بأذواق الناس الى مستوى الفن الرفيع والجمال المطلق، والابداع الذي يدنيه الى الامتاع والخلود الادبي، ليصل جمال الفن وجمال الموهبة وجمال الرسالة بجمال الحقائق الادبية الخالدة.

(١) قواعد النقد الادبي — ترجمة الدكتور محمد عوض محمد ٢١ (٢) سحر الشعر ١٢٢